الخطاب الصوفي الكسنزاني المعاصر

المدرس الدكتور
عادل علاوي النعيمي
أستاذ التصوف الإسلامي
قسم الدراسات الاسلامية
وحوار الاديان والحضارات

الملخص

إستمر رجال التصوف عبر العصور في تصحيح وتجديد طريق السير الى الله تعالى لإستئناف الإشعاع الحضاري للأمة في مجال التربية والتدافع الإنساني ، فكانوا بحق محطات حضارية مضيئة على مر التاريخ .

وفي العصر الحديث يتبوأ الخطاب الصوفي الكسنزاني مهمة إلهام ذاكرة الأجيال لإدامة السير في مجال الإصلاح العلمي والتجديد الأخلاقي ، فكان خطاباً وإرشاداً وتوجيهاً بمستوى التحديات التي تواجهها الأمة اليوم ، وهو يحمل بين طياته دعوة الى تجديد الخطاب الإسلامي من خلال الخروج من إطار محاورة المؤمنين بالرسالة الخاتمة الى فضاء القيم الإنسانية التي تعتبر الإنسان رمزاً حضارياً لبناء حضارة إنسانية يكون فيها الإنسان أخاً مسالماً لأخيه الإنسان ، وأنّ حريته شيئاً مقدساً لا يجوز المساس به ، وهذا لا يأتي إلاّ من خلال دولة تقوم على أساس مدني لا على أساس ديني أو طائفي ، فالدين أو الطائفة علاقة بين الإنسان وربه ، أما الإنسان فهوا أخاً للإنسان يسكن هذه الأرض بسلام .

ABSTRACT

Men of Sufism throughout ages have continued in correcting and renovating the path towards God to resume the cultural glamour for the nation in the field of education and human crowdedness . As such they become in reality cultural illuminating stations throughout

history .In modern times the

Ksenzani discourse is championing the cause of inspiring the memory of generations to sustain the march in the field of scientific reform and ethical renovation. Therefore, it has become a discourse, guidance and instruction at the level of challenges facing the nation today. It carries within its folds a call for

renewing the Islamic discourse by leaving

out the frame of having dialogues among believers through the final and sealed message to the space of human values which consider man a cultural symbol for building a human culture in which

man is considered a peaceful brother for his fellow brother and that his freedom is a sacred thing that should not be compromised . This can not be achieved except through a state which has a civil foundation and neither religious nor sectarian for religion or sect is a relationship between man and his Lord ,but man is a brother for his fellow man living on this earth peacefully.

مقدمة

نشأ التصوف معبراً عن المثل الديني الأعلى، وظل في أدواره كلِها يعبر عن ذلك المثل، ضمن حدود الحب والتسامح، فالتصوف وحده كان من بين معترك الأفكار و المذاهب، شامخا صِرفا سلاما في كل ما مرّ به من الأدوار.

واستمر رجال التصوف عبر العصور في تصحيح وتجديد طريق السير الى الله تعالى لإستئناف الإشعاع الحضاري للأمة في مجال التربية والتدافع الإنساني، فكانوا بحق محطات حضارية مضيئة على مر التاريخ .

وفي العصر الحديث يتصدر أقطاب الطريقة العلية القادرية الكسنزانية الخطاب الصوفي المعاصر ليتبوؤا مهمة إلهام ذاكرة الأجيال وليغذوا السير في مجال الإصلاح العلمي والتجديد الأخلاقي، فكان الخطاب الكسنزاني خطاب الزمان بما يناسبه من مقدمات الخطاب إرشاداً وتوجيهاً بمستوى التحديات . فجاءت هذه المقاربة لتلقي الضوء على إسهامات هذا الخطاب في زمن كان أحوج ما فيه الى هذه الإضاءات التي تنير الدرب للأفراد والجماعات، فكان البحث مشتملاً على مقدمة وخاتمة وثلاثة مباحث: الأول يحمل عنوان الخطاب الكسنزاني أمام التحديات والثاني تناول الكرامة

عند شيوخ الكسنزان والثالث تحت عنوان الخطاب الكسنزاني والعصر، هذا الخطاب الذي يدعو الى تجديد الخطاب الإسلامي من خلال الخروج به من إطار محاورة المؤمنين بالرسالة الخاتمة الى فضاء القيم الإنسانية التي لا يخلو منها مكان ولا يفتقد لمسلماتها إنسان ،الإنسان الذي يُعَدّ رمزاً حضارياً لبناء حضارة يكون فيها أخاً مسالماً لأخيه الإنسان .

المبحث الأول
الخطاب الكسنزاني أمام التحديات

المطلب الأول: تحديات ومواقف

لقد كان الخطاب الكسنزاني في بعض مراحله تنبيهاً على فساد الولاة وكثرة الأدعياء وعلماء السوء أو تنبيهاً على الحملات التي يرّوج لها أعداء الدين من مستشرقين أو متسترين بإسمهِ لأغراض ومآرب دنيوية، فنراه منبهاً على فساد الولاة وعلماء السوء محذراً من « الذين إنحرفوا عن جادة الصواب والحق المبين، واستغلوا الدين للدنيا فأخذوا منه ما يبيح لهم دنياهم فتنازعوا وتمادوا بينهم، وخيّم الجهل وانتشرت البدع فانتفعت فئات ضالة بإسم الدين وكان لهم مفكروهم وعلمائهم الجهلة الذين صمتوا عن الحق إرضاءً للخلق، فنسوا الآخرة»[1] .

وتارة يأتي هذا الخطاب محذراً من الحملات الشعواء التي يُروّج لها المستشرقون لتشويه الإسلام فنراه يُحَّذِرُ قائلا «ونفخت الأبواق المغرضة، فأصبح بعضهم ببغاوات لنيكلسون وجولد زيهر وماسيينون وغيرهم ليحطوا من قيمة الدين الحنيف»[2]

(١) الكسنزان، الشيخ محمد المحمد، الأنوار الرحمانية، مكتبة مدبولي،١٩٩٩م،القاهرة، ص١١-١٢ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٢ .

وتارة أخرى يأتي هذا الخطاب مُنَبِّها على الدعوات التي تخفي ورائها المآرب السياسية وتوسيع المطامع، فهو يُحَذِرُ من هؤلاء الذين «ضللوا بإسم الدين، فقتلوا الناس وانتهكوا الحرمات وأباحوا المحضورات وغزوا الأوطان ليستعبدوا الخلق من جديد تدعمهم يد الأجنبي»[1] .

وحسب متطلبات كل مرحلة وظروفها وملابساتها، يأتي الخطاب الكسنزاني ملبياً لحاجات وتحديات تلك المراحل، ففي مرحلة السلم يغتم فرص الأمن والسلام لنشر العلم والإرتقاء بمستويات المريدين والأتباع وعامة الناس، وفي مرحلة الجهاد والتصدي للمحتل يتقدم الصفوف ويخوض غمار المعارك ففي فترة الإحتلال البريطاني للعراق أوائل القرن العشرين، نراه يعلن الجهاد بين مريدي الطريقة تلبية لنداء الدين ودفاعاً عن حياة المسلمين وأوطانهم واستمراراً لما نهج عليه الصوفية في كل عصر، كونهم أوائل المدافعين عن تربة الأوطان رافعين راية الجهاد عالياً فنرى الخطاب الكسنزاني يحث المسلمين عامة والمريدين خاصة على مواجهة جيوش الإحتلال التي غزت العراق آنذاك، فهذا الشيخ عبد القادر الكسنزان في خطبه ومواعظه يقول « أيها المسلمون هلمّوا لمساعدة المجاهدين في الجنوب، أخوتكم العرب فإن كل من حمل السلاح ضد المحتل وساعد المجاهدين بأمواله ولسانه فهو مسلم مجاهد، شفاعته يوم القيامة واجبة وهو من أهل الجنة»[2] وبالفعل كانت المشاركة الفعلية لهؤلاء المجاهدين

(١) المرجع السابق، ص ١٣ .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص ٢٤٩، ومن الجدير بالذكر أن نشير الى تصريح القائد البريطاني في شمال العراق آنذاك س. جي . ادموندز والذي يقول فيه: إن الشيخ عبد القادر الكسنزان يُمَثِل حَجَرَ عثرة أمام زحف بريطانيا ولذلك يجب الهجوم عليه ومطاردته، أنظر: جمال نصار، الطريق الى الطريقة، ص٨٥، ط١، ١٩٩٧م، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان .

في معركة الشعيبة[1] بـ (٣٠٠٠) فارس قدموا من السليمانية الى قاعدة الشعيبة جنوب العراق، وكان قد سبقها الإشتراك في عدة معارك خاضها الشيخ السلطان حسين ضد الجيش الروسي في الحرب العالمية الأولى والذي كان يهاجم عن طريق ايران، وفي شمال العراق اشترك في عدة معارك ضد الجيش البريطاني وأسَّر بنفسه في إحدى المعارك ثمانين جندياً مع ضابطين[2]، فكانت ضربة موجعة للجيش البريطاني حيث أرسلت بريطانيا على أثرها قوة مؤلفة من عشرين ألف مقاتل لمطاردة والده السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان وأُسرته ومريديه، فكانت الهجرة الى ايران، لتبدأ صفحة جديدة من صفحات الجهاد والهجرة والإرشاد في سبيل الله تعالى .

وهكذا عندما تدلّهم الكوارث وتحل في بلاد المسلمين المحن ... في تلك الظروف الحالكة يبقى الصوفي، الرجل الروحي المحبوب ذو الصوت المسموع والجانب المرهوب، فكان الخطاب الكسنزاني إبّان الأحتلال البريطاني في مطلع القرن الماضي (العشرين) يمثل الشرارة التي أشعلت نار المقاومة المسلحة ضد الإحتلال، فكان إعلان الجهاد ضد المحتل إيذاناً لبدء هجرة شيخ الكسنزان الى ما وراء حدود العراق الى ايران، ولكن عيونهم وقلوبهم وأرواحهم تمد المجاهدين من جنوب العراق الى

Edmonds 1957: 356 .

(١) معركة الشعبية، التي وقعت بين القوات البريطانية المحتلة وقوات الجيش العثماني في ٢١ نيسان ١٩١٤م بمساندة ١٥٠٠ مقاتل بقيادة الشيخ محمود الحفيد البرزنجي جاؤوا من السليمانية لمساندة اخوانهم ضد القوات البريطانية واستمر القتال حتى شباط ١٩١٥م (أ. د . ابراهيم العلاف) للمزيد عن معركة الشعيبة أنظر: (معركة الشعيبة عام ١٩١٥م بين رؤيتين عراقية وبريطانية) ا. د . ستار نوري العبودي . جمهورية العراق – جامعة بابل، و د . وليم بريج / المملكة المتحدة – جامعة نورثاهمتن .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، موسوعة الكسنزان، جـ ٢٣، ص٢٦٣ .

شماله[1]، ومن ناحية أخرى كانت الشعوب الإيرانية حينذاك بأمس الحاجة الى من يوقظها من سباتها وينقذها من غفلتها، فهي قد أشرفت على العودة الى جاهليتها ناسية أمور دينها الحنيف، فجاءت هجرة الشيخ عبد القادر الكسنزان بمثابة إشراقة لنور الإيمان وبعث نور الإسلام من جديد فكان يُعَلِّمَهم تعاليم القرآن الكريم وأخلاق الرسول ﷺ وأفعاله الكريمة حتى غدت أنوار الطريقة سارية في جميع بقاع ايران[2]، ولم تكن هجرة الشيخ عبدالقادر الكسنزان هي الأخيرة، بل وفي عقود لاحقة جاءت هجرة حفيده الشيخ عبد الكريم الكسنزان الى ايران أيضاً والتي كرّس فيها جهوده لإرشاد الخلق ونشر تعاليم الطريقة بين الناس، تلك التعاليم التي تناقلها الأبناء عن الآباء والأحفاد عن الأجداد، وكان تَنَقُّل الشيخ بين المدن الإيرانية صعباً ومكلفاً لأنّ الآلاف المؤلفة من المريدين والمحبين يتبعونه حيث ما حلّ وارتحل ولقد استمرت هجرة السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان مدة عامين متنقلا في تلك الأصقاع يسدي النصح لعوام المسلمين ويبني التكايا والمساجد ويصُلح بين الناس، حتى دخل طهران والتقى بعدد من المسلمين وأقام عدة مناسبات دينية بايعه عدد كبير من الناس، فكانت دعوته الروحية الى الخلاص من زخارف الدنيا والتوجه الى الله تعالى من خلال الصفاء الروحي، فلاقت الطريقة اقبالاً واسعاً واستوعبت الملايين من المريدين حتى راح سناها الروحي الى بلاد كثيرة مثل افغانستان وباكستان والى بعض بلاد أفريقيا مثل

(١) لقد أحرق الإنجليز جميع ممتلكات الشيخ عبد القادر وأتباعه وحاصروا جبل سركرمه من كل الجهات لأجل القبض على الشيخ المجاهد، ولكن جهودهم باءت بالفشل . [الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص ٢٥٠] .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص ٣٦٤ .

زامبيا ففتحت فيها تكايا وقام الخلفاء بالإرشاد [1].

المطلب الثاني: الكرامة طريق لتصحيح السلوك

لم تكن الكرامة عند هؤلاء الشيوخ الأكابر للتفاخر ولا للمباهاة ولا للتنافس والشحناء بل كانت كراماتهم ومهابتهم بين الناس لتصحيح السلوك المنحرف بين أوساط الناس، وكانوا في نصحهم لا يُفَرِّقون بين رئيس ومرؤوس بل يقولون الحق دون أن تأخذهم لومة لائم ويأمرون بالإستقامة على الكتاب والسنة كأساس لطريق التصوف ويوصون بالكسب الحلال ويحذرون من التواكل والكسب الغير مشروع، موّضحين السلوك الصحيح، فنرى السيد الشيخ عبد الكريم الشاه الكسنزان يقول مخاطباً المريد (واجعل سلوكك في طريق الفقراء مستقيماً على قدم الشريعة واحفظ نيتك من دنية الوساوس وأمسك قلبك وتَمَسَكْ يا ولدي بسبب لمعيشتك بطريق الشرع من كسب حلال)[2]، لم يقتصر الخطاب الكسنزاني على التأصيل بالأقوال فقط، بل الأعمال كانت شواهد على ذلك، لأن المشايخ الكاملين في الطريق هم خطابات حية مستمرة عبر الأزمان، فنرى ورع السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان بعد هجرته الى ايران ونزوله في قرية تعود ملكيتها لعائلة فقيرة وقد إغتصبها منهم أحد الإقطاعيين، فنراه من شدة ورعه أنه حرّم على نفسه حتى شرب الماء من تلك القرية واكتفى بماء يُذابُ له من الثلوج الى قمم الجبال طيلة السنين التي عاشها فيها، لأنه اعتبر ماء القرية مغتصب من صاحبه الشرعي[3]. هنا يكون الفعل أقوى للإعتبار وأكثر تأثيراً في

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص ٢٦٥-٢٦٦ .
(٢) المرجع السابق، ص ٢٤٥ .
(٣) المرجع السابق، ص ٢٥٠ .

تصحيح مسار وسلوك الآخرين .

لم يقف الخطاب الكسنزاني عند هذا الحد فقط، بل صارت كراماتهم عند الله تعالى سيفاً قاطعاً بوجه الظالمين والمتكبرين الذين يحيدون عن الحق جهاراً نهاراً، فمن كرامات السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان، أن إقطاعياً ظالماً كان قد سلب بقرة من رجل فقير، فذهب الفقير الى الشيخ وشكى أمره، فطلب الشيخ من الظالم أن يَرُدَّ البقرة للرجل ولكن الظالم أبى وقال: لا أستطيع ردَّ أموال مثل هؤلاء الذين هُمْ مثل العبيد بالنسبة لنا، فلما سمع الشيخ كلام الظالم أنكره وأحمّرت محيّاه من الغضب، وقال مخاطباً له: أيها الظالم إنّ الناس سواسية كأسنان المشط لا فرق بين رئيس ومرؤوس ولا غني ولا فقير إلا بالتقوى، (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) [الحجرات: ١٣] أما أنت أيها الظالم فلن يصلح حالك حتى يطلع القرن من رأسك، إذهب فالله المنتقم . ولم تمض مدة طويلة حتى مرض الظالم وظهر على رأسه قرنين كقرون الحيوانات ودمل رأسه وتعفن من القيح فندم على ما فعل واستغاث قائلاً، أحملوني الى السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان إنْ هي إلا ضربة منه، ولما جيء به الى الشيخ صار يبكي ويتوسل ويقول: يا ابن رسول الله عالجني فقال له الشيخ: تُبْ الى الله توبة لا رجعة بعدها وعاهد الله أن تردّ المظالم الى أهلها، فستعود مشافى بإذن الله تعالى . وبعد توبته على يد الشيخ وتعهده بترك الظلم طيلة حياته، أصبح مشافى معافى [1] .

ومثل هذه الأمور التي حدثت على يد السيد الشيخ عبد القادر الكسنزان كثيرة جداً حيث تاب على يده خلق كثير من الغافلين والظالمين والعّصاة والمتجبرين وأصبحوا نادمين على ما بدر منهم من ظلم وإسراف وغدوا رجالاً صالحين .

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٢ .

نعم كانت مواعظه يرددها مريديه وتلامذته في مجالس إرشادهم، وهنا نستمع الى وصيته التي يحرص فيها على أن يكون المريد جامعاً بين الشريعة والطريقة متحققاً في سلوكه فهو يقول: (أيها الدرويش إلْبَسْ ثوب التوبة قميصاً نقياً صافياً فمن لم يكن متشرعاً متحققاً عفيفاً فإنه ليس من مريدينا، فعلى مريدنا أن يكون ملازماً للشريعة والطريقة والصيانة والزهد والورع وقلة الطمع)[1]. ومن وصاياه أيضاً: (إنّ من كظم غيظه وعفا عمّن ظلمه وآذاه رقّاه الله الى مراقِ الرجال)[2].

المطلب الثالث: الربانيون وتحبيب الخلق لطريق الحق

لم تكن الأموال التي سخَّرها الله تعالى لشيوخ الكسنزان، لتغيرهم عن نهج جدهم صلى الله تعالى عليه وسلم فكانوا حريصين على توزيعها للفقراء، فهم يخصصون مراتب شهرية للأرامل وللأيتام، بل ويشترون قرى كاملة ويوزعوها على فلاحيها، فقد سخّر الله تعالى للسيد الشيخ سلطان حسين الكسنزان (من الأموال ما يتناثر عليه من كل صوب ولكن المال لم يغُرُّهُ ولم يغيرّه ولم يكن يرى فيه جدوى له فهو قد خصص لأكثر من عائلة من اليتامى والفقراء مرتبات شهرية ثابتة مع أنه كان لا يأكل سوى خبز الشعير والحنظل وكثيرا ما كان يشتري بعض القرى من الإقطاعيين ويوزعها على فلاحيها)[3]. إنّ تلك الأسس التي إنطلق منها الخطاب الكسنزاني، من تأصيل على الكتاب والسنة تعود الى تكريم الحق عزّ وجلّ لهؤلاء الأكابر الذين هم بدورهم وظَّفوُها في طريق تصحيح سلوك المنحرفين والظالمين والعصاة، كل ذلك جعل المهابة

(١) المرجع السابق، ص ٢٥٢ .
(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
(٣) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

لهم أينما حلوّا وارتحلوا، فهم رجال خافوا الله تعالى فخاف منهم كل شيء[1]، فكان الناس على إختلاف طبقاتهم ومنازلهم يبدون هيبتهم ورهبتهم منهم، فكانوا في الحق لا تأخذهم لومة لائم، فنرى السيد الشيخ السلطان حسين الكسنزان يقول (أيها الناس ليس في الدين رئيس ولا مرؤوس ولا طبقات متمايزة إلا بالعمل المثمر، كلنا لآدم وآدم من تراب)[2].

وهكذا كانت أخلاق الربانيين في التعامل مع الخلق لتحبيبهم وتقريبهم الى طريق الحق، تتناغم بين الهيبة والرهبة حيناً، وبين اللين والسماحة حيناً آخر، فكانوا يفرحون بالتائب والراجع الى طريق الحق والهداية ويدعون له، ويعاملونه بالرأفة ويشوّقون اليه السلوك الى الله تعالى ويملئون قلوب الفقراء إطمئناناً وفرحاً لأنهم يحببون عباد الله الى الله ويحببون الله الى عباده [3]. فهم حقاً كما وصفهم الناظم:

قوم كرام السجايا حيث ما جلسوا
يبقى المكان على آثارهم عطرا
يهدي التصوف من أخلاقهم طرفاً
حسن التآلف منهم راقني نظراً[4]

(١) إشارة لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم في الحديث الشريف (من خاف الله خوّف منه كل شيء) المقاصد الحسنة، رقم الحديث ١٠٧١، والمنذري، الترغيب، ٤/ ١٤١، والحافظ العراقي، تخريج الإحياء، ٢/ ١٢٨، .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص ٢٥٧ .

(٣) إشارة لحديث (إن شئتم لأحدثنكم مِنْ أحَب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون في الأرض نصحا وإنْ شئتم لأقسمن لكم إَنّ أحَب عباد الله الى الله لرعاء الشمس والقمر)، أحمد بن حنبل، كتاب الزهد، رقم الحديث ٤٥٢ .

(٤) الطاهر علاوي، محمد، العالم الرباني سيدي أبو مدين شعيب، ج١، ٢٠٠٤ م، دار الأمة

فنرى السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان، كثيرا ما كان يسامح فإذا ما جاءه أحدٌ شاكٍ من مصائب الدنيا وهموم الظالمين، صبّره وقال له: (إنّ الله يرانا ويراهم فإصبر واحتسب نسأله الهداية لهم)[1]. فما أن يصل كلامه إلى آذان المعتدين والظالمين حتى تَرِقَّ قلوبهم فتشدهم اليه شداً . فنراهم في اليوم التالي قد تابوا وأصلحوا لأن الشيخ العارف بالله سيدي الشيخ عبد الكريم الكسنزان طبيبٌ بدواء العلل خبيرٌ بخفايا النفوس، وله في كلامه صولة حق فيها رغبة ورهبة، يرغبها أهل الحق ويرهبها أهله، ويا له من صوت روحي يدمغ الباطل فإذا هو زاهق ومن أعظم مآثر زهده أنه ما جلس عنده غني وقام من مجلسه حتى آثر حياة الزهد وفضله على الترف، فتراه يصبح سخياً زاهداً ملتفتاً عن الدنيا متوجهاً الى الآخرة داعياً لها محذراً الناس منها، وهذه من بركات مجالسة الزاهدين، فمن جلس مع أهل الدنيا قام يحبها ومن جلس مع أهل الآخرة هام بحبها وعزم على الهجرة اليها [2]. لقد كان لنصحه وإرشاده دور كبير في إصلاح المفسدين من اللصوص وقطاع الطرق، الذين أصبحوا، بعد أن تابوا على يديه، مسلمين مؤمنين ومن المخلصين، كما وأسلم على يديه عدد كبير من أصحاب الديانات المختلفة ولا يزالون أوفياء صادقين [3] .

ولم يقف دور السيد الشيخ عبد الكريم الكسنزان عند هذا الحد، بل قام بحل الكثير من الصراعات القبلية والطائفية في زمانه وسعى لحل مشكلة شمال العراق .

للطباعة والنشر، الجزائر .

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص ٢٦٣ .

(٢) المرجع السابق، ص ٢٦٥ .

(٣) المرجع السابق، ص٢٦٨ .

المبحث الثاني
الكرامة عند شيوخ الكسنزان

المطلب الأول: الكرامة

والكرامة أمر خارق للعادة وهي من جنس المعجزات ما عدا أنها لا تكون مقرونة بدعوى النبوة، وتظهر على يد الولي تخصيصاً له وتفضيلاً لإظهار صدقه وصلاحه[1]، ذلك أمر الله سبحانه وتعالى للأشياء بقوله: (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) [يس: ٢٨] وبهذه القدرة أي قدرة (كن فيكون) تحصل المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء، فإذا أراد الحق سبحانه وتعالى أن يعطل القوانين المادية لأحد أنبيائه أو أحد الصالحين فقد فعل .

وقد دأب الأولياء منذ البداية في سلوكهم على الإحتفاظ بكراماتهم سِرَّية بسبب الحياء الذي ينتابهم ومنعاً لسوء الظن بهم من قبل الآخرين، ولكن الولي يجوز له إظهار الكرامة إذا كان هناك سبباً يدعو الى ذلك، كزيادة إعتقاد المريدين أو تثبيت إيمانهم، لقوله تعالى: (قل هاتوا برهانكم إنْ كنتم صادقين) [البقرة: ١١١] والبرهان هو البيان والحجة والبيّنة (٢)، التي تجعل الناس يتبعون بشراً مثلهم بسبب ظهور تلك الحجة وسطوع ذلك البرهان .

والكرامة بالنسبة للولي هي حالة أو درجة وصل اليها ونالها بالتكريم الحاصل له من

---

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص ١٥٨ .

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعارف، مصر، ج٢، ص ٥١٠ .

قبل الله سبحانه وتعالى وهو سبحانه الفاعل للكرامات ومُجريها على أيدي أوليائه الذين هم موضع نظر الله وعنايته فيفيض عليهم ما يفيض من أنوار المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم لتحقيق الأمانة العظمى أمانة الله في خلافة الأرض، لقوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون) [الأنبياء: ١٠٥]، لهداية الناس الى طريق الحق والإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر الخير والنور والسلام .

وكرامات المشايخ كثيرة وواضحة لا ينكرها إلا معاند أو سفيه وغالباً ما تكون في قضاء حوائج الناس لإرادة الله سبحانه أن ينفع البشر بهم فهي إما أن تكون بدعائهم أو بالتوسل الى الله بهم [١] .

المطلب الثاني: لماذا أظهر شيوخ الكسنزان كراماتهم ؟

لقد أظهر شيوخ الكسنزان كراماتهم لعدة أسباب منها:

١- كونها إمتداداً حياً لمعجزات الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم لإثبات وجود الله عزّ وجلّ والإقرار بوحدانيته ولهداية الضالين والمنكرين الى طريق الحق والإيمان [٢].

٢- كونهم وارثي نوره ولمسته الروحية ﷺ فقد ساروا على نهجه فَمنَحوا بركاتهم للضعفاء والمرضى ونفع الله بهم خلقاً كثيراً [٣] .

٣- نتيجة للتطور الحضاري وهجوم المدنية الحديثة بكل ما تحويه من إغراءات

---

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص ٢١٦ .

(٢) المرجع السابق، ص ١٦٠ .

(٣) فقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم مناراً ومنبع بركة للمسلمين ينتفعون بدعائه في شفاء أمراضهم وتفريج كروبهم يتبركون بأدواته وكانوا يستسقون به وبآله من بعده .

وتعشّقٍ للمادة، وما جاءت به ثورة المعلوماتية والشبكة العنكبوتية وما يشهده عصرنا من نزعات إباحية ودعوات إلحادية وإتباع للهوى، ولتقادم العهد بين الإسلام الحق المتمثل بالرسول ﷺ وأصحابه وبين أجيالنا المعاصرة، فكان لا بد للمصلح الديني والمرشد الداعي الى إحياء الدين وسُنّة المصطفى ﷺ ، من إظهار كرامات جديدة خارقة بمستوى حضارة هذا العصر كي يقتدي به الناس، متبركين بهذا التأثير الروحي عليهم، كون الكرامات جزء من بركات الرسول ﷺ لكنها بإسلوب جديد يناسب متطلبات العصر الحديث والحضارة المعاصرة، لقد نجح شيوخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في جذب الشباب الضائع من حلقة الفراغ الى فلك الدين الحنيف بواسطة إظهار كراماتهم سواء في إثبات خوارق جسدية أو شفاء أمراض أعجزت الطب الحديث، من هنا كان إظهار الكرامات أمراً واجباً وضرورياً للشيخ المرشد، وليست من الواجبات التي تفرضها الطريقة على المريدين، لأن هذه الكرامات (الفعاليات) هي وسيلة لا غاية وإن هدف مشايخ الطريقة من وراء السماح لمريديها بممارسة هذه الفعاليات الخارقة، هو إرشاد الناس وحثهم على الرجوع الى طريق الحق والصواب والإنخراط في مسلك الطريقة قال تعالى (أدعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) [النحل: ١٢٥]، لذلك كان أمر السيد الشيخ محمد المحمد الكسنزان الحسيني رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في العالم أنه (لا يجوز إطلاقاً ممارسة هذه الفعاليات الخارقة في غير سياقها الإرشادي القويم كإستخدامها للتفاخر أمام الناس) [1] لأن هذه الفعاليات تجري بفضل الله تعالى الذي منح هذه القوة الروحية لمشايخ الطريقة وهم بدورهم وظّفوا هذه الكرامات (الفعاليات) لغرض الإرشاد الذي

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص١٧٧-١٧٨ .

يُعَدُ في فكر الطريقة الكسنزانية من أهم العبادات المفروضة على المريدين فإذا وجد المريد أن إرشاده لشخص معين أو مجموعة من الناس يصبح تأثيره أقوى إذا صاحبته ممارسة بعض الفعاليات الخارقة يكون لزاماً عليه ممارسة هذه الفعاليات [١] التي تتميز بخصائص فريدة نذكر منها ما يأتي .

المطلب الثالث: الخصائص الفريدة للفعاليات الخارقة

إن حقيقة الإمكانية الفورية لإصلاح تلف جسم المريد والتئام الجروح فيه، أو مقاومة جسمه للنار أو الصدمة الكهربائية أو سموم الأفاعي والعقارب، هي إمكانية القدرة الروحية التي منحها الله سبحانه وتعالى لمشايخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ذات القدرة غير المحدودة في الدرك لمن يقوم بهذه الفعاليات، ولا علاقة للمريد بهذه الإمكانية إطلاقاً، لذلك فإن هذه الفعاليات ما هي إلاّ كرامات لمشايخ الطريقة الكسنزانية تظهر على أيدي مريديهم [٢] .

فمن الخصائص الفريدة التي تتميز بها هذه الفعاليات الخارقة دون غيرها من الظواهر الباراسايكولوجية[٣] هي خاصية التكرارية، أي أنّ هذه الخوارق ممكن القيام بها من قبل المريد متى شاء بعد الإستئذان من الشيخ، وهذا بحدّ ذاته تفوّق لا حدّ له

---

(١) المرجع السابق، ص ١٧٨ .

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(٣) الباراسايكولوجي: ويتألف هذا المصطلح من شَقَيّن أحدهما البارا para ويعني قرب أو جانب أو ما وراء، أما الشق الثاني فهو سيكولوجي psychology ويعني علم النفس فيعني المصطلح (ما وراء علم النفس) أو علم النفس الموازي، ويسمى أيضاً الخارقية وهي دراسة علمية لحدوث إدراك عقلي للتأثيرات على الأجسام الفيزيائية دون تماس مباشر معها أو أتصال . [ويكيبيديا – الموسوعة الحرة] .

على الحوادث والقدرات الباراسايكولوجية التي هي ظاهرة ظرفية أي أنّ وقت ومكان حدوثها لا يقع تحت سيطرة أحد، بل هي بحد ذاتها دلالة واضحة على عمق الإيمان الراسخ والشجاعة الفذّة التي تمثل صورة حيّة ومتجددة لجهاد صحابة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، الذين كانوا يحرصون على الإستشهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته فتوهب لهم الحياة .

لقد دحضت كرامات مشايخ الكسنزان كل التحليلات النفسية والتأثيرات المغناطيسية والتصويرات الشعاعية، وثبت للجميع[1] أنّ الحراب تخترق الأكباد وأنّ الخناجر تدخل في الرؤوس حقاً وحقيقة وأنّ التأثير الروحي للشيخ والرابطة الروحية بينه وبين مريديه بعيدة كل البعد عن التأثير المغناطيسي، وإنما هي لمسة روحية إلهية مستمدة من نور الله تعالى متصلة على شكل سلسلة مع حضرة الرسول الأعظم ﷺ[2]. وهكذا فمشايخ الكسنزان، جهادهم وإرشادهم وهجرتهم كلها لخدمة الإسلام والمسلمين ولنصرة الحق المبين التي يدعو لها ديننا الحنيف .

من هنا جاء الخطاب الكسنزاني ليكشف عن مدى التنوع والتجدد لدى الفكر الصوفي المعاصر وليدلل على قدرة التصوف على الإستمرار والعطاء في ظل المتغيرات، وما يمكن أن يُقَدِمَهُ هذا الفكر لمكافحة التطرف والإرهاب ومدى إستطاعته على المحافظة على قيّم أخلاقية بدأت تنزوي في مجتمع اليوم .

---

(١) لقد إعتاد الناس على تسمية كل أمر خارق للعادة بـ (السحر) ونسبته الى أعمال شيطانية، ولكن الكرامة غير ذلك، فكل عمل من هذا النوع ينهار أمام الحقية كالحيّل والخدع البصرية التي لا وجود لها على الواقع، أمام الكرامات فقد أثبت المشايخ حقيقتها باللمس والنظر وبالفحص الطبي الدقيق من خلال صور الأشعة والتحليلات المختبرية .

(٢) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص ٢٠٥ .

المبحث الثالث
الخطاب الكسنزاني والعصر

المطلب الأول: العلم

لما كانت الطريقة إمتداداً لرسالة سيدنا محمد ﷺ وبعثاً للروح الإسلامية فهي (تأمر جميع مريديها بإلتزام حلقات العلم وتعمل على بث روح الإجتهاد والإنكباب على مناهل العلم والمعرفة)[1] ومنذ البداية فإن أهل الطريقة أكدوا على ضرورة العلم للمريد السالك، فهم يأمرون الناس جميعاً بتعلم العلم لأن فيه (خيراً تعلموا واعملوا حتى تنتفعوا بالعلم، العلم كالسيف والعمل كاليد، سيف بلا يد لا يقطع واليد بلا سيف لا تقطع)[2].

وهكذا في وقت السلم تكون وجهة الخطاب الكسنزاني نحو العلم وتأسيس المدارس التي تستقبل طلابها في قرى غاب عنها التعليم الرسمي لقرون طويلة، فقد أسس السيد الشيخ السلطان حسين مدرسة دينية في قرية كربجنة وعيّن على نفقته مُدّرِسين يُدّرِسون فيها الحديث الشريف والنحو والفقه وسائر العلوم الدينية[3].

ومن الجدير بالذكر أنْ نشير إلى أنّ عصر الشيخ محمد المحمد الكسنزان كان عصر إقبال المادية وموجتها التي تحاول القضاء على ما في النفوس من زهد وورع، محاوِلةً

(١) الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص١١٦ .
(٢) الكيلاني، الشيخ عبد القادر، جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، الناشر الشيخ محمد الكسنزان الحسيني، شركة عشتار، ١٩٨٩، بغداد، ص٦٧ .
(٣) الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، ص ٢٦٠، والكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، ص ٣٧٠ .

إشاعة الطمع وإطلاق شهوات الجسد كما أنّ عصره قد شهد تصاعد موجة معاداة التصوف وكثرة الطاعنين فيه، وبروز تيار التعصب من غير علم ممن لا يحسنون إلا رفض الآخرين بلا حجة ولا دليل، كل تلك المتغيرات جعلت الخطاب الكسنزاني في هذا العصر متوجهاً وبشكل منقطع النظير، نحو العلم والإرشاد، ففي مجال الإرشاد نرى الشيخ محمد المحمد الكسنزان الحسيني قدس الله سره قد خرج في عدة حملات شملت العديد من المحافظات داخل العراق وفتح عدداً كبيراً من التكايا وخلّف الخلفاء والمرشدين وأمرهم بالإرشاد في كل زمان ومكان، وكان مجلسه مثابة للعلماء والأدباء ومنبراً للدعوة والإرشاد، مجلس يجمع بين الذكر والعلم ويتخلله إنشاد المدائح النبوية فأصبحت زوايا الطريقة الكسنزانية تَعُجُّ بالذكر والعبادة والعلم وتبعث بسنا شعاعها الروحي الى زوايا العالم في عصر نحن أحوج ما تكون فيه الى مشاعل حياة القلوب، وأصبح رئيس الطريقة العلية القادرية الكسنزانية قطب الرحى في عصره، يلوذ به طلاب العلم وطلاب الذوق، كما يلجأ إليه أصحاب الحاجات والشفاعات، وعلى بابه يزدحم الأمراء والكبراء .

لم يقتصر هذا الدور الإرشادي المهم على العراق، بل أثمرت جهود الشيخ محمد المحمد الكسنزان الحسيني في بعث المرشدين الى دول العالم وذلك (بفتح تكايا الطريقة الكسنزانية في السودان والأردن وتركيا والباكستان والهند وأندونيسيا وماليزيا والصين وفي الشيشان والعديد من جمهوريات الإتحاد السوفيتي سابقاً وفي الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا ورومانيا ودول أفريقية كثيرة)[1]. ولم تكن هذه الجهود وليدة اليوم، بل كانت مرحلة إعداد المرشدين قد بدأت منذ تسعينات القرن الماضي والتي دشَّنها

(١) نصار، د. جمال، الطريق الى الطريقة، ص ٩٧ .

الشيخ بفتح دورات علمية متعددة المعارف تضَمَنتْ اللغات وعلوم الدين والشريعة والتصوف لتهيئة أجيال واعية ومن مختلف المستويات للنهوض بأقدس مهمة أصبحت الأمة بأمس الحاجة لها منذ عقود، ألا وهي مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، للعودة بشباب الأمة الى طريق الوسطية التي أرادها الله سبحانه، والوقوف بوجه تيارات التطرف والتشدد التي تحاول جرّ الأمة والعالم بأسره الى الدمار والخراب من خلال نشر ثقافة التكفير وصولاً الى الإرهاب الذي لا يعرف ديناً ولا وطناً ولا يفرّق بين شعب وآخر .

ورغم هذا الجهد الكبير الذي يضطلع به الشيخ محمد المحمد الكسنزان الحسيني في مجال الإرشاد وفتح التكايا، فقد كان مولعاً بجمع آثار الصالحين ودراستها فقد (جمع أصنافاً من آثارهم ومخطوطاتهم النادرة لضمان صيانتها من جهة والإستفادة منها من جهة أخرى بهمة وعزيمة)[1] وللشيخ مكتبة نادرة حَوَتْ آلاف الكتب والمخطوطات جمعها بمشقة كبيرة من خلال المواظبة على مراجعة دار المخطوطات في بغداد ومكتبة الأوقاف العامة ومكتبة الحضرة القادرية الشريفة طيلة سبعة عشر عاماً بصورة مستمرة وهو يطمح بأن يتكلل سعيه هذا بإنشاء مركز عالمي متخصص بجمع الآثار الصوفية والإعتناء بها لتكون مرجعاً للباحثين والمهتمين بتاريخ التصوف في كلَّ مكان[2] كما أوفد الشيخ عدة مرات بعض المختصين بالوثائق الى مكتبة الإسكندرية للحصول على قسم من نفائسها .

كما أن الشيخ محمد كثير الإهتمام بالدراسة العلمية لكرامات مشايخ الطريقة،

(١) جياووك، بوتان معروف، النفحات الكسنزانية، ص ٥١ .
(٢) نصار، د. جمال، الطريق الى الطريقة، ص٩٧ .

فعقد أكثر من مؤتمر علمي تحت إشراف الأخصائيين للمقارنة بين الكرامات وعلم الباراسايكولوجي في العاصمة الأردنية (عمان) خلال السنوات (٢٠١٢-٢٠١٤م) وكان تأسيس الشيخ لصرح علمي في بغداد يحمل اسم (كلية السلام الجامعة) عام ٢٠٠٥م، يُعَدّ تتويجاً لإنجازات علمية طويلة، ويعتبر نواة لجامعة كبرى تجمع بين دراسة العلوم الدينية والعلوم الكونية، ومن أعماله البارزة تأسيسة للمركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية في بغداد سنة ١٩٩٥م، وهو كذلك صرح علمي وروحي يضم اختصاصات متعددة تشمل كل ما له علاقة بالتصوف ودراسات حوار الأديان، وكذلك مواكبة لمتطلبات العصر في وسائل التواصل والمعرفة فقد أنشأ الشيخ محمد المحمد الكسنزان موقعاً الكترونياً للطريقة العلية القادرية الكسنزانية www.kasnazan.com وأصبح هذا الموقع وسيلة للتواصل مع مريديه في أصقاع المعمورة، وكذلك موقع التصوف الأسلامي الذي يُعَدّ نافذة أخرى على العالم يعكس الجوانب المشرقة للتصوف الإسلامي www.islamic-sufism.net ويمتاز كلا من الموقعين بـ (طابع الشمولية ولغة الحوار المتمدن كخطوة أساسية في هذا العصر لردم الهوة وتقريب المسافة مع الآخر والإرتقاء بالفكر الإسلامي لكي يفتح أبوابه أمام اللغات الرئيسة في العالم لتوطيد العلاقات الفكرية والثقافية والعلمية بين المسلمين وغيرهم)[1].

كذلك وعلى طريق جمع الشمل لكافة الطرق الصوفية وفتح باب التشاور والتحاور

(١) الحديثي، عبد السلام بديوي، التصوف في العراق، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب ٧٢، كانون الأول ٢٠١٢م، ص١٥٩ .

فيما بينها، فقد قام الشيخ بتأسيس (المجلس المركزي للطرق الصوفية)[1] سنة ٢٠٠٥م لتكون بمثابة جسور تمتد لجمع لحمة التصوف أمام الهجمة التي تتعرض لها الأمة اليوم.

المطلب الثاني: رسالة الإنسانية وإنسانية الرسالة

وهنا يمكننا القول بأن الخطاب الصوفي المعاصر – والذي إتخذنا له إنموجاً – ألا وهو الخطاب الصوفي الكسنزاني، يناشد البشرية في ظروفها الحالكة التي تمر بها، رغم ما توصلت اليه من رقيّ في تقنيتها العصرية وثورتها المعلوماتية، إلاّ أنها ظلت بعيدة عن تلبية حاجات هذا الإنسان الحائر في دروبها ودهاليزها المظلمة، فنراه يِقْدِمْ على الإنتحار كأقصر طريق للخلاص مما يعانيه من مجاعة روحية قاتلةً لضميره الإنساني، نتيجة تجرده وتحلله من كافة القيود والضوابط الإجتماعية وسيره تائهاً حائراً في متاهات حياة مدلهمة بدون مسؤولية ولا نظام ولا هدف ولا حتى بصيص أمل يحقق له مما يريده للوصول الى الحقيقة (السعادة الأبدية) التي يبحث عنها كل إنسان بتطلع الى جلال الحق، فإنسان الحضارة العصرية الذي انغمس في مباهج الحياة ولذاتها بدون وازع من ضمير وبلا حدود بلغت رغباته وغرائزه النفسية والجنسية ذروة الإشباع، ولم يتبق أمامه ما يتنعم أو يلتذ به فوقع في فراغ نفسي عميق بعيداً عن حقيقة الحق ووجدانه وهو بهذا لا يدري مبعثه وهو ما يسمى بالفراغ الروحي الذي إذا ما وصل اليه الإنسان فَقَدَ جوهر حياته والتجأ بعدها مُضطراً الى محو نفسه وانتحاره لينقذها من براثن الحياة المزرية، فهو قد أخفق في الوصول للتفكر بعظمة الخالق من خلال آياتهِ الكبرى في التنظيم والإبداع، حيث جميع الرسالات السماوية وصحائفها وأحكامها تؤكد ذلك المعنى الروحي المحقق لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة وذلك عندما يهتدي للتفكر

(١) الكسنزان، الشيخ محمد الكسنزان، موسوعة الكسنزان ج١، المقدمة صفحة ز، س .

فيما أودعه الله تعالى من أسرار في هذا الكون الواسع وفي نفس هذا الإنسان، فقال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فجاء الخطاب الكسنزاني متوجهاً الى الإنسانية جمعاء قائلاً « فيا أيها الحائرون في متاهات الحياة وميادينها المجهولة دون تروٍ ولا تفكر، هلّموا يا بني البشر الى منهج وطريق التدرج الى الحقيقة الأبدية (الخلود) التي حيّرت عقول الفلاسفة والمفكرين في البحث عنها، وتأملوا واتبعوا طريقة العمل الصالح والمثابرة والتقوى فإنكم لا محالة واصلون بعد ذلك الى أملكم المنشود، فتصبحون حينئذ في خلود دائم ونعيم مقيم لدى خالق الكون ومكون الأكوان والذي ما خلق الانسان إلّا ليدرك سرّ هذا الوجود»[1]، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ [الذاريات :٥٦] أي إلّا ليعرفون، فجعل العبادة طريقاً الى المعرفة وقد ورد في الأثر كنتُ كنزاً مخفياً فأُحببتُ أن أُعرف[2]، فلم يكن الخطاب الكسنزاني كما مرَّ بنا سابقاً مجرد كلام يلقى أو مواعظ تسدى للآخرين، بل كان موقفاً وحضوراً في ميادين الدعوة والإرشاد وجهاداً في سوح الوغى والدفاع عن حياض الأمة، وهنا سنعرض لبعض الفقرات من هذا الخطاب على لسان الأستاذ الدكتور نهرو الكسنزان(٣) والذي يعبر

(١) الكسنزان ، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية ،ص ٣٩٦ .

(٢) أشارة للحديث القدسي (كنت كنزاً مخفياً فأُحببتُ أن أُعرَف، فخلقت الخلق لكي أُعرَف) . علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط١، ٢٠٠٢م، دار الفكر، ج٩، ص٣٧٢٤ .

(٣) نهرو الكسنزان، ولد السيد الشيخ نهرو بن السيد الشيخ محمد المحمد الكسنزان الحسيني في مدينة كركوك عام ١٩٦٩م، أكمل دراسته الأولية حيث حصل على شهادة البكلوريوس في علوم الحاسبات من كلية المنصور في بغداد عام ١٩٩٤م، وشهادة الماجستير في التاريخ من معهد التاريخ

فيه عن آلام فئات واسعة وشرائح عريضة تعاني اليوم من مظلومية طيلة عقود ماضية من المرارة والحرمان والجوع إضافة الى القتل والإرهاب والتنكيل، فتراه خطاباً يلامس شغاف القلوب ويحاكي همسات النفوس المتعطشة إلى الحياة الحرة الكريمة فهو يقول: « إنّ الجزء الأكبر من شعبنا العراقي يعاني الأَمَرَّيْن على يد مصاصي الدماء أصحاب رؤوس الأموال والمشاريع والعقود والمقاولات الكبرى الذين يمسكون في آن واحد بأغلب مفاصل السلطة والمال . هؤلاء سُرّاق المال العام الذين وظفّوا الدولة بما فيها لأغراضهم الشخصية ولتكديس الأموال والأرصدة والحسابات المصرفية العديدة وفي مختلف مصارف وبنوك العالم، هؤلاء الذين يعرفون جيدا من أين تؤكل الكتف!

نحن نعمل وسنعمل بلا حدود من أجل تحرير فقراء العراق بمختلف أديانهم ومذاهبهم وطوائفهم وأعراقهم من نير الإستغلال والفقر بل والعوز والفاقة وسنبني مجتمع العدالة الإجتماعية والمساواة والعمل والتطور الحضاري المتواصل والثقافة الوطنية والإنسانية من خلال دولة مدينة تقوم على المؤسسات وتعتمد على طاقات أبنائها من التكنوقراط وكافة الخيرين من أبناء البلد، لقد بلغ العراق سنَّ الرّشد سياسياً بعد أن صودرت إرادته السياسية عقوداً طويلة وقد آن الأوان ليقول العراقيون كلمتهم التي تترجم هويتهم كشعب حيّ يرفض الإنكفاء، ويتطلع إلى الحياة بعيون يُكحلها حُبُّ العراق، وبقلب يخفق لكل منارة ومئذنة، ومرقد مقدس، ونفوس توّاقة لأن يحتضن مربد البصرة الشعري القادمين من أربيل، ويحرص إبن البطحاء على حضور

والتراث في بغداد عام ١٩٩٧، ونال الدكتوراه في التاريخ من نفس المعهد عام ٢٠٠٢م،] أرشيف المكتب الإعلامي لتجمع الوحدة الوطنية العراقي، السيرة الذاتية للأستاذ الدكتور نهرو الكسنزان، ص٣ [.

مهرجان أم الربيعين، إنَّ العسكرة وكثرتها لا تجلب الأمن والأمان، فالعراقي يحتاج إلى توفير فرص العمل للعاطلين وينتظر تقديم خدمات حقيقية للجميع، والعسكرة الآن ما هي إلا مفسدة تنهش في ميزانية الدولة .

لدينا مصانع وأيدي عاملة بالملايين، ولأجل دوران عجلة هذه المصانع نحتاج دخول المستثمر ؛ لكن المستثمر هنا (نضع تحته) ألف علامة حمراء للحصول على المستثمر الحقيقي القادر على النهوض الصحيح، لا أنْ (يزيد الطين بلة) كما قالها مثلنا الشائع .

وفي مجال التربية والتعليم فإننا بحاجة ماسّة وعاجلة إلى ثورة تربوية ديمقراطية لكي تستطيع المدرسة في العراق القيام بواجبها تجاه أجيالنا الصاعدة فنحن كل يوم نزداد ثباتاً وإصراراً على تكملة المسير، وإن فُتِحَتْ أبواب النار وتلاقفت ألسنة اللهب أجزائنا، إلاّ أننا نعرف أين نضع أقدامنا وكيف نسير في حقول ملغومة ومحفوفة بالمخاطر»[1] .

ولأجل أن تترجم هذه الأقوّال إلى أفعال والأفكار إلى أعمال لا بُدَّ من العمل المؤسساتي الضامن لحقوق الأفراد والمجتمعات، لذلك عمد الأستاذ الدكتور نهرو الكسنزان إلى تأسيس عدد من المجامع العلمية والثقافية والدينية نذكر منها:

١ – المركز العالمي للتصوف والدراسات الروحية .

وهو متخصص في مجال تقديم الدراسات والبحوث العلمية والأكاديمية المتعلقة بالتصوف الإسلامي و نقاط الإلتقاء مع جميع الأديان في العالم .

٢ – المجمع العلمي للسادة الأشراف .

---

(1) https: / /m.facebook.com /pg /drnahroalkasnazan /posts / .

ويضم كثير من السادة و الوجهاء المعروفين من السادة الأشراف في العراق وهدفه الحفاظ على تاريخ و تراث السادة الأشراف وما يمثله نسبهم المبارك وتوحيد صفوفهم ودعمهم لرفد المجتمع العراقي بالإرث التاريخي والحضاري و الذي كان له الدور في الحفاظ على وحدته وتمازجه وتماسكه وتطوره في جميع الظروف التي مرت على المجتمع العراقي.

٣- إيمانا بأن العلم الأكاديمي يمثل اللبنة الرئيسية والحجر الأساس لرقي وتقدم المجتمع لذلك قام الدكتور نهرو بتأسيس كلية جامعة باسم (كلية الشيخ محمد الكسنزان الجامعة) وهي تضم عدة أقسام علمية وهي :

١ – قسم الدراسات الإسلامية وحوار الأديان والحضارات

٢ – قسم هندسة تقنيات الحاسبات

٣ – قسم اللغة الإنكليزية

٤ – قسم القانون

٥ – قسم علوم الحاسبات

٦ ـــ قسم التحليلات المرضية

٧ ـــ قسم المالية والمصرفية

٨ ـــ قسم الأعلام

٤- جمعية الشيخ الدكتور نهرو محمد عبد الكريم الكسنزان الحسيني التي قامت بالعديد من المشاريع الخيرية وتقديم المساعدات إلى العراقيين في الداخل والخارج حتى الآن[١]، خدمة لهذا الشعب العظيم، كي يحيا حياة كريمة تليق بتاريخه الحضاري العريق

(١) وأبرز دليل على ذلك هو قيامه بفتح مخيمات للنازحين في كل من بغداد والسليمانية وكركوك

وليعود كما كان شعباً عظيماً في مصاف شعوب العالم المتقدمة .

المطلب الثالث: الخطاب الكسنزاني خطاب متجدد .

وفي الختام نصل الى أنّ الخطاب الصوفي الكسنزاني خطاب يستوعب كل المعاني الإنسانية، فنراه يخاطب إنسان هذه الأرض التي أشرقت برسالة النور والسعادة عبر حقب التاريخ، حيث كان الإنسان في كافة مراحلها رمز حضاري لبناء حضارة يكون فيها الإنسان أخاً مسالماً لأخيه الإنسان، فنرى هذا الخطاب يصدح قائلاً :

«في هذا العالم المفتوح لم تعد مسؤولية الكلمة محصورة في نطاق الطائفة أوالفئة ولا حتى القطر أو الإقليم، بل صار البعد الملازم لها كونياً ،وصارت مساحة التواصل متسعة تشمل الأنفس جميعاً في الآفاق كلها .

وإزاء هذه الحقيقة أصبحت مسؤولية المؤمنين جميعاً هي تجديد الخطاب الإسلامي من خلال الخروج به من إطار محاورة المؤمنين بالرسالة الخاتمة إلى فضاء القيم الإنسانية التي لا يخلو منها مكان ولا يفتقد لمسلماتها أي إنسان .

قال تعالى مخاطباً رسوله الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾ [الأعراف:١٥٨]، فالرسالة لعموم الناس، وهي واضحة وبيّنة عند المؤمنين بها، ولكن إيصالها إلى الآخرين يقتضي مخاطبتهم على قدر عقولهم، والوصول إلى هذا المقدار من العقول يأتي عند حوار الآخرين بالمعاني الإنسانية والقيّم الروحية التي تتبطنها هذه الرسالة، فهذه القيّم والمبادئ هي الرابط الحي الوحيد بين

ومن بعدها في الانبار بعد عودة الأمن والنظام اليها، وسنفرد بحثاً مفصلاً عن تلك الجهود لاحقاً إن شاء الله تعالى .

بني البشر جميعاً أيّاً كانوا وكيفما كانوا .

فمن هذا المنبر ندعو جميع الذين يحملون على عاتقهم أمانة إيصال كلمة النور إلى الناس جميعاً أن يوحدوا جهودهم في مشترك خطابي يستبطن حقيقة أن الرسالة الخاتمة رسالة الفطرة الصافية، وأن الكلمة موجهة لهذه الفطرة عند كل إنسان لأنه سيصل في نهاية المطاف إلى الحقيقة الروحية للإسلام التي هي رسالة رحمة للعالمين وهدى للناس كافة»[1].

هذه الرسالة تدعو لبناء جيل جديد يؤمن بأنَّ الحضارة الإنسانية هي عمل مشترك بين أبناء الجنس البشري وأن حرية هذا الإنسان شيء مقدس لا يجوز المساس به، وهذا لا يأتي إلاّ من خلال دولة تقوم على أساس مدني لا على أساس ديني أو طائفي، فالدين أو الطائفة علاقة بين الإنسان وربه، أما الإنسان فهو آخاً للإنسان يسكن هذا الأرض بسلام .

الخاتمة والنتائج

ظل التصوف رغم كل الهجمات الشرسة التي تعرض ويتعرض لها محفوظا بحفظ الله لدينه وبقيّ قلبا نابضا للإسلام مؤَيَداً بنصرة الله تعالى له، فكان خطابه حساً مرهفاً معبراً عن ضمير الأمة في أحلك ظروفها، مستوعباً كل المعاني الإنسانية مخاطباً إنسان هذه الأرض الذي يحمل رسالة تدعو لبناء جيل جديد يؤمن بأنّ الحضارة الإنسانية عمل مشترك بين أبناء الجنس البشري، وقد خلصت الدراسة الى نتائج يمكن إيجازها

(١) مجلة الكسنزان، العدد٣، الإفتتاحية، ومنتدى المودة العالمي، رسالة الإنسانية وإنسانية الرسالة، http://kasnazan.com/article.php?id=1321 .

بما يلي :

١. التحذير من استغلال الدين للدنيا من خلال سلوك الولاة الفاسدين وعلماء السوء المنحرفين عن جادة الصواب والحق المبين .

٢. الدفاع عن حياض الأوطان عندما تتعرض للخطر الخارجي من قبل الغزاة والطامعين .

٣. إغتنام فرص الأمن والسلام لنشر العلم والإرتقاء بمستوى المريدين والأتباع وعامة الناس .

٤. ضرب شيوخ الكسنزان أروع الأمثلة في الورع فلم تحرفهم الأموال التي أغدقها الله تعالى عليهم قَيْد أنملة عن طريق الإستقامة مع التشديد على السالك أن يتمسك بسبب لمعيشته بطريق الشرع من كسب الحلال .

٥. ليس في الدين طبقات متمايزة وإن ميزان التفاضل في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح .

٦. كانت الكرامة تأتي في سياق تحقيق الأمانة العظمى أمانة الله في خلافة الأرض، وفي سبيل هداية الناس الى طريق الحق والإيمان والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر الخير والنور والسلام .

٧. إنّ من مستلزات المصلح الديني والمرشد الداعي الى الله، تجديد خطابه وقد يكون من متطلبات هذا التجديد إظهار كرامات بمستوى حضارة هذا العصر كي يقتدي به الناس، متبركين بهذا التأثير الروحي عليهم .

٨. نجاح شيوخ الطريقة العلية القادرية الكسنزانية في جذب الشباب الضائع من حلقة الفراغ الى فلك الدين الحنيف بواسطة إثبات كراماتهم سواء في إثبات خوارق جسدية أو شفاء أمراض أعجزت الطب الحديث .

٩. إنّ هذه الكرامات (الفعاليات) هي بحد ذاتها وسيلة لا غاية وإن الهدف منها هو إرشاد الناس وحثهم على الرجوع الى طريق الحق والصواب .

١٠. إنّ الخطاب الكسنزاني يناشد البشرية في ظروفها الحالكة اليوم، ويخاطب إنسان الحضارة العرجاء التي تركت أفرادها تائهون حائرون بعد أن تجردوا وتحللوا من كافة القيود والضوابط الإجتماعية، بلا مسؤولية ولا نظام ولا هدف، ليدعوهم هذا الخطاب الى السير والوصول الى الحقيقة (السعادة الأبدية) التي يبحث عنها كل إنسان يتطلع الى جلال الحق وجماله .

١١. مخاطبة الآخر بالمعاني الإنسانية والقيم الروحية التي تتبطنها الرسالة الخاتمة، والدعوة لتوحيد الجهود في مشترك خطابي يستبطن حقيقة أنّ هذه الرسالة هي رسالة الفطرة الصافية التي يصل الإنسان من خلالها الى الحقيقة الروحية للإسلام بإعتباره رحمة للعالمين وهدى للناس أجمعين .

١٢. جاء الخطاب الصوفي الكسنزاني ليكشف عن مدى التنوع والتجدد لدى الفكر الصوفي المعاصر، وليدلل على قدرة التصوف على الإستمرار والعطاء في ظل المتغيرات، وإمكانية هذا الفكر في مكافحة التطرف والإرهاب، ومدى استطاعته على المحافظة على قيم أخلاقية بدأت تنزوي في مجتمع اليوم .

المصادر والمراجع

١. الكسنزان، الشيخ محمد، الأنوار الرحمانية، مكتبة مدبولي،١٩٩٩م،القاهرة .
٢. جمال نصار، الطريق الى الطريقة، ، ط١، ١٩٩٧م، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان .
٣. معركة الشعيبة عام ١٩١٥م بين رؤيتين عراقية وبريطانية ا. د . ستار نوري العبودي . جمهورية العراق – جامعة بابل، و د . وليم بريج / المملكة المتحدة – جامعة نورثاهمتن .
٤. الكسنزان، الشيخ محمد، الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، د.ت، ط ٢، مطابع الأديب البغدادية .
٥. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، المقاصد الحسنة، ت: محمد عثمان الخشت، ١٤٠٥ -١٩٨٥، ط١.
٦. المنذري، الترغيب، ٤/ ١٤١، المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي، الترغيب، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط٣، ج٤ ،١٤٢٤-٢٠٠٣ .
٧. أحمد بن حنبل، كتاب الزهد، ت: محمد جلال شرف، دار النهضة العربية،١٩٨١.
٨. الطاهر علاوي، محمد، العالم الرباني سيدي أبو مدين شعيب، ج١، ٢٠٠٤ م، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر .
٩. الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار المعارف، مصر، ج٢.
١٠. الكيلاني، الشيخ عبد القادر، جلاء الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر، الناشر الشيخ محمد الكسنزان الحسيني، شركة عشتار، ١٩٨٩، بغداد
١١. جياووك، بوتان معروف، النفحات الكسنزانية ،١٩٨٧، مطبعة أسعد، بغداد .

١٢. الحديثي، عبد السلام بديوي، التصوف في العراق، مركز المسبار للدراسات والبحوث، الكتاب ٧٢، كانون الأول ٢٠١٢م.

١٣. الكسنزان، الشيخ محمد، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار آية، بيروت، ٢٠٠٥.

١٤. علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ط١، ٢٠٠٢م، دار الفكر.

١٥. مجلة الكسنزان، رئاسة الطريقة العلية القادرية الكسنزانية، العدد ٣، لسنة ٢٠٠٧، الإفتتاحية، ومنتدى المودة العالمي، رسالة الإنسانية وإنسانية الرسالة،

http://kasnazan.com/article.php?id=1321.

16. https://m.facebook.com/pg/drnahroalkasnazan/posts/.